

ومن زمزم فاشرب بما شئت ممعناً وسم وسل ما تبتغي وتزود^(١)

واحد أو أيام متتالية فهذا لا ينبغي.

(١) من السنن الشرب من ماء زمزم بعد ما يفرغ من الطواف ويصلي الركعتين فإنه يشرب من ماء زمزم كما فعل النبي ﷺ ويتضلع منه، يعني يُكثر من شربه؛ لأنه ماء مبارك، وقد قال ﷺ: «ماء زمزم طعام طعم وشفاء سقم»^(١) وقد جاء عنه ﷺ أنه قال: «ماء زمزم لما شرب له»^(٢) إن شربته تبغي به الشفاء شفاك الله، وإن شربته لأجل الأجر والثواب فإن فيه الأجر والثواب، فشربه عبادة، وقد شرب النبي ﷺ منه، وهو قائم لما ناولوه دلواً فشرب منه عليه الصلاة والسلام، ولا يُشرب للعطش فقط أو للشهوة وإنما يُشرب للعبادة تعبداً لله عز وجل، وينوي بشربه

(١) روى بعضه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي ذر، حديث رقم (٢٤٧٣)،

وهو عند البيهقي في السنن الكبرى (١٤٧/٥) حديث رقم (٩٤٤١).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند من حديث جابر بن عبد الله، حديث رقم (١٤٤٣٥)، وابن ماجه

في كتاب المناسك، باب الشرب من زمزم، حديث رقم (٣٠٦٢).

وعند خروج طف طواف مودع وقف بعد بين الباب والركن ترشد^(١)

العبادة، حتى يؤجر عليه. «بما شئت» لعله: لما شئت. لقوله ﷺ: «ماء زمزم لما شرب له» يعني لما شئت شربه من أجله. «وسم» عند بداية الشرب، كما في سائر الشرب من زمزم وغيره، يبدأ بيسم الله ويُنهى بالحمد لله. ويشرب بثلاثة أنفاس كما سبق، هذه سنة الشرب.

«وتزود» يعني تحمل من ماء زمزم معك إلى بلدك تشرب منه أو تهديه لأهلك أو لغيرهم لا مانع من ذلك.

(١) عند نهاية الحج لا تخرج حتى تطوف للوداع، فهو آخر المناسك لقوله ﷺ: «لا يفرن أحد حتى يكون آخر عهده بالبيت»^(١)، قال عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما: «أمروا أن يكون آخر عهدهم بالبيت إلا أنه خفف عن المرأة الحائض»^(٢)

(١) رواه مسلم في كتاب الحج، باب وجوب طواف الوداع... حديث رقم (١٣٢٧).

(٢) رواه البخاري في كتاب الحج، باب طواف الوداع، حديث رقم (١٧٥٥).

وطواف الوداع واجب من واجبات الحج من تركه فعليه دم، وهو يجب على كل من أراد الخروج من مكة بعد فراغه من مناسك الحج، لأنه آخر مناسك الحج إلا الحائض فإنه يسقط عنها، لقوله: «خفف عن المرأة الحائض» أما الذي يخرج من مكة من غير الحجاج فلا يجب عليه طواف الوداع؛ لأن النبي ﷺ إنما أمر به الحجاج خاصة، فلم يأمر كل من خرج من مكة أنه يطوف للوداع، وخروج الحاج من مكة سواء كان قريباً من مكة أو بعيداً منها، إذا خرج منها ولو كانت بلدته قريبة كأن تكون في عرفات - إذا أراد أن يخرج من مكة وهو قد حج هذه السنة - فإنه يطوف للوداع، لعموم قوله ﷺ: «لا ينفرن أحد حتى يكون آخر عهده بالبيت»^(١).

وقوله: «وقف بعد بين الباب والركن ترشد» هذا من المستحبات أنه إذا فرغ من طواف الوداع يقف بين الركن والباب، وهو المسمى بالملتزم ويدعو الله بما تيسر له من الدعاء، فيسأله القبول والمغفرة والسلامة في السفر، وأن يرده الله إلى بيته مرة

(١) سبق تحريمه في الصفحة السابقة.

وناد كريماً قد دعا وفده إلى جوائزه في بيته فادع وأجهد^(١)

ثانية، وأن لا يكون آخر العهد.

(١) في الملزم تدعو وتكثر من الدعاء، وتقول:

اللهم إنك دعوتني إلى زيارة بيتك العتيق ويسرت لي ذلك،
والآن أريد السفر إن أذنت لي فأغفر لي وارحمي وتقبل مني
وردني إليه ولا تجعله آخر العهد به، وتدعوا بما تيسر لك من
الدعاء.

« وناد كريماً قد دعا وفده إلى * جوائزه » إشارة إلى قوله

تعالى: ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾ [الحج: ٢٧]، هذه دعوة من رب
العالمين لعباده للحج، ﴿ يَا أَيُّهَا رَجَاؤُكَ وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ ﴾ إلى قوله
تعالى: ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾، وهذه المنافع جوائز من الله عز
وجل كثيرة ولا يعلمها إلا الله، والناس منهم من يحصل على خير
كثير، ومنهم من يحصل على أقل من ذلك، ومنهم من لا يحصل
على شيء.

وقل يا إلهي قد أثيناك نرجمي مواعيد صدق من كريم معود^(١)
 وهذا مقام المستجيرين من لظى بعفوك يا منان يا ذا التغمد^(٢)
 بعونك جئنا فوق كل مسخر فجده بالرضا يا رب قبل التبعد^(٣)

(١) هذا مضمون الدعاء الذي تقوله: دعوتي وأجبتك
 ووعدتني المغفرة والقبول، هذا من باب التوسل إلى الله بالعمل
 الصالح وبوعده الكريم.

(٢) كذلك تتوسل إليه بقيامك في هذا المكان تقرباً إلى الله،
 وطاعة له، وهذا أيضاً من التوسل بالعمل الصالح.

(٣) وتقول: حملتني على ما سخرت لي من خلقك، وهذا
 اعتراف بفضل الله وكرمه وأنه هو الذي سخر لك ما يملكك إلى
 هذا البيت، من مراكب الدواب أو المراكب المصنوعة، كل هذا من
 تيسير الله سبحانه وتعالى، وهو الذي أوجدها لك ويسرها لك
 وحملك عليها، وجئت من مكان بعيد على هذه المسخرات هذا
 اعتراف بفضل الله سبحانه وتعالى.

فهذا أوان السير عن بيتك الذي نفارقه كرهاً متى شئت نفتدي^(١)
فراق اضطرار لا فراق زهادة ولا رغبة عنه ولا عنك سيدي^(٢)
وليس لنا والحمد لله رغبة سواك فأصبحنا بمغني التزود^(٣)

(١) وتقول: هذا أوان انصرافي إن أذنت لي؛ لأن كل شيء بإذنه، وتسأله المغفرة وحسن الختام.

(٢) تقول: فراقى للبيت اضطرار وليس فراق رغبة عنه أو زهداً فيه، وإنما حاجتي هي التي اضطرتني إلى الفراق، وقلبي متعلق بهذا البيت حتى ولو سافرت، المسلمون قلوبهم معلقة بهذا البيت يتوجهون إليه ويتشوقون إلى رؤيته والطواف به كل مسلم هكذا تجد عنده الحنين إلى هذا البيت دائماً وأبداً ولا يشبع ولا يمل منه، ولو تكرر مجيئه فإنه لا يشبع من هذا البيت، وهذا من آيات الله سبحانه وتعالى.

(٣) تسأله أن يصحبك في السفر، كما كان النبي ﷺ يدعو ويقول: «اللهم أنت الصاحب في السفر»^(١) يعني المعية من الله،

(١) رواه مسلم في كتاب الحج، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره، حديث رقم (١٣٤٢).

ولا تجعله آخر العهد يثا وهون علينا السير في كل فدفد^(١)
وسل كلما تبغي من الدين والدنا تنله متى تدعو بصدق تقصد^(٢)

معية خاصة «أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل» فالله هو الذي يخلفك في أهلك إذا غبت عنهم ويحفظهم، وهو أيضاً معك في السفر يحفظك ويسر لك ويعينك فهو معك ومع أهلك.

(١) تدعو الله أن لا يجعل هذا آخر العهد بالبيت العتيق، وأن يعيدك إليه مرات ومرات وتسأله أن ييسر عليك السفر ويسهل عليك السفر؛ لأن السفر قطعة من العذاب كما قال النبي ﷺ^(١)، فيه مشقة وفيه خطر، فتسال الله أن يسهله لك.

(٢) أدع الله بكل ما تحتاجه من أمور دينك ودنياك، لا تقتصر على طلب الدين فقط، ولا على طلب الدنيا فقط، وإنما تجمع بينهما، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]، فتدعو

(١) رواه البخاري في كتاب الحج، باب السفر قطعة من العذاب، حديث رقم (١٨٠٤).

وصل على خير النبيين كلما دعوت يكن أخرى لتحصيل مقصد^(١)

لدينك وتدعو لدينك؛ لأنك بحاجة إلى هذا وهذا، خلاف الذين كانوا في الجاهلية إذا حجوا يسألون الله لديناهم فقط ويقولون: ﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا﴾ [البقرة: ٢٠٠]، فيسألون الله للدنيا فقط قائلين: اجعله عام خصب عام مطر وعام كذا وعام كذا، ولا يذكرون الآخرة ﴿فَمِنَ الْكَافِرِينَ مَن يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ [خلاق: يعني نصيب، ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ﴾]، تجمع في دعائك بين أمور الدنيا وأمور الآخرة.

(١) من أسباب قبول الدعاء، الشاء على الله في أوله، والصلاة على النبي ﷺ في آخره، فإذا أردت أن تدعو الله فإنك تشي عليه وتحمده في البداية ثم تذكر حاجتك ثم تصلي على النبي ﷺ في النهاية، هذا من أسباب الإجابة.

وبعد فراغ الحج فانو زيارة لخبر البرايا مع ضجيعيه فاقصد^(١)

(١) زيارة المسجد النبوي مشروعة، والصلاة فيه عن ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام، فالصلاة فيه عن مائة ألف صلاة، هذا مما يدل على أن مكة أفضل من المدينة، فزيارة المسجد النبوي مشروعة دائماً، ولا علاقة لها بالحج سواء زرتة بعد الحج أو قبل الحج أو في أي أيام السنة فهو فضيلة مستقلة عن الحج، قال ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد»^(١) يعني لا تشد إلى بقعة لأجل العبادة فيها إلا إلى ثلاثة مساجد «المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»، وما عداها لا يُسافر إليه للعبادة في أي مسجد من المساجد أو بقعة من البقاع فهذا بدعة، أما المساجد الثلاثة فالسفر إليها من أجل العبادة والاعتكاف فيها سنة، فزيارة المسجد النبوي بعد الحج أو قبل الحج أو في أي وقت سنة، الصلاة الواحدة عن ألف صلاة، هذا

(١) سبق تخريجه.

فضل عظيم، ولا تنو زيارة القبر في السفر، لأن هذا بدعة، وقول الناظم أنك تنوي زيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام، هذا جرى على ما عليه المتأخرون من الفقهاء، وهذا غلط، لأن الزيارة إنما هي للمسجد والسفر إنما هو للمسجد، وتدخل زيارة قبره ﷺ تبعاً لزيارة المسجد، وما جاء حديث صحيح ولا حسن في الأمر بزيارة قبره ﷺ، بل الأحاديث الواردة في زيارة قبره على الخصوص كلها إما موضوعة وإما ضعيفة شديدة الضعف لا يحتج بها، وقد بين ذلك الأئمة الحفاظ، كالحافظ بن حجر، وشيخ الإسلام ابن تيمية، والحافظ ابن عبد الهادي، وقد ألف كتاباً رداً على السبكي في أحاديث الزيارة التي احتج بها السبكي، وبين حال هذه الأحاديث وأنها لا تصلح للاحتجاج، ونقضها واحداً واحداً في كتاب سماه «الصارم المنكي في الرد على السبكي» وهو مطبوع يتداول وغيره كتب في هذا، وإنما جاءت الأحاديث في الحث على زيارة المسجد النبوي ومن زار المسجد النبوي وصلى فيه فإنه يُستحب له أن يذهب إلى قبر النبي ﷺ ويسلم عليه، ثم يتأخر إلى جهة المشرق قليلاً ويسلم على أبي بكر الصديق رضي

الله عنه، ثم يتأخر قليلاً إلى جهة المشرق ويسلم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ لأنهما دفنا مع النبي ﷺ في حجرة عائشة، ولهذا يقول: «ضجيعيه» أي ضجيعي الرسول ﷺ فتسلم عليهم، كان ابن عمر رضي الله عنه إذا قدم من سفر فإنه يأتي ويسلم على النبي ﷺ ويسلم على أبي بكر ويسلم على أبيه ثم ينصرف، أما إنه كلما دخل المسجد يذهب يسلم على النبي فهذا بدعة، ولكن إذا قدم من سفر فإنه يسلم عليه، أما كلما دخل المسجد يزوره فالنبي ﷺ نهى عن ذلك، وقال: «لا تجعلوا قبري عيداً»^(١) يعني لا تترددوا عليه وتجهلوه مكان يُعتاد المجيء إليه؛ لأن هذا وسيلة إلى الشرك، وما كان الصحابة كلما دخلوا المسجد اتجهوا إلى قبره، ولكن الصلاة والسلام على النبي مطلوبة في أي مكان حتى ولو أنت في أقصى الدنيا، تصلي وتسلم عليه ويبلغه ذلك، قال عليه الصلاة والسلام: «صلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم» فليس هذا خاصاً بالصلاة والسلام عليه عند قبره، وإنما هذا مشروع في أي مكان، ولا خاصة للصلاة والسلام عليه عند قبره

(١) سبق تخريجه.

ويكره مس القبر يا صاح مطلقاً وقم قبلة والمنبر اليسرة احدد^(١)

عن الصلاة والسلام عليه لمن بُعد عن قبره، فالمسالة مسألة إتباع واقتداء وابتعاد عن وسائل الشرك والغلو هذا هو المطلوب، والنبي ﷺ قال: «لا تجعلوا قبري عيداً»^(١) وقال عليه الصلاة والسلام: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»^(٢)، حذر ﷺ وأنذر، فلا يجوز الغلو في قبره ﷺ، والسفر من أجل زيارته.

(١) يُكره يعني يحرم مس القبر والتمسح بجدرانته والشباك كما يفعله المخرفون يتمسحون بالجدران وبالشبابيك، أما القبر فلا يصلون إليه والله الحمد، لأن القبر محفوظ.

وقوله: «وقم قبلة» يعني عند السلام تقوم مقابلاً لوجه النبي ﷺ كما تسلم على الحي، فالسلام على الميت مثل السلام على الحي

(١) سبق تخرجه.

(٢) سبق تخرجه.

وصل وسلم في حريم ضريحه عليهم وسل مستشفعاً بمحمد^(١)

تقوم مواجهاً له وتسلم عليه، وهذا في حق النبي ﷺ وغيره من الأموات، تجعل الكعبة خلف ظهرك وتستقبل وجه النبي ﷺ وتسلم عليه، ثم تستقبل وجه أبي بكر وتسلم عليه، ثم تستقبل وجه عمر وتسلم عليه، ثم تنصرف، فعند السلام تستقبل القبور، وتسلم على أصحابها وإذا انتهى السلام وأردت الدعاء تنصرف وتبعد عن القبر وتدعو الله بما شئت في المسجد، لا تدعو عند القبر؛ لأن هذا وسيلة لدعائه من دون الله، وهذا شرك.

«والمنبر اليسرة احدد» يعني اجعل منبر الرسول عن يسارك، إذا استقبلت القبر صار المنبر على يسارك؛ لأن هذا هو الذي يُبين لك كيف تستقبل الرسول ﷺ.

(١) الدعاء عند القبر والاستشفاع بالرسول غلط، وإذا أردت أن تدعو فمكان الدعاء هو المسجد، ولا يكون عند القبر، لا قبر الرسول ﷺ ولا قبر غيره، لا يكون الدعاء عند القبور، لأن هذا وسيلة من وسائل الشرك، كما أن الصلاة لا تجوز عند القبور؛

عليه صلاة الله ثم سلامه وأصحابه والآل من كل أمجد^(١)

لأنها وسيلة من وسائل الشرك والصدقة لا تجوز عند القبور؛ لأنها وسيلة من وسائل الشرك، الذي يريد العبادة يعبد الله بعيداً عن القبور؛ لأنها إذا فعلت هذه الأشياء عند القبور تدرج الناس إلى دعاء القبور والذبح لها كما حصل من القبوريين اليوم، فساداً للذريعة لا يُفعل عند القبر إلا السلام على الميت فقط، والدعاء له؛ لأنه بحاجة إلى الدعاء أما أنك تدعو الله لنفسك عند القبر فهذا لا يجوز.

(١) الصلاة على النبي ﷺ وعلى آله -وهم قرابته- والصحابة عموماً هذا أمر مشروع، تقول: صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً. فذكرهم معه في الصلاة والسلام هذا أمر مشروع، كما هو في التشهد الأخير في الصلاة تصلي على النبي ﷺ وعلى آله.

وإن جهاد الكفر فرض كفاية ويفضل بعد الفرض كل تعبد^(١)

(١) لما انتهى من الحج، دخل في بيان أحكام الجهاد، والجهاد: هو بذل الجهد والوسع في قتال الكفار لأجل إعلاء كلمة الله وإزالة الشرك من الأرض، والجهاد عده بعض العلماء ركناً سادساً من أركان الإسلام لقوله ﷺ: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله»^(١) لأن الدين ينتشر بأمرين:

الأمر الأول: الدعوة إلى الله عز وجل لمن يريد الخير ويريد أن يُبين له الطريق، بأن تتاح له الفرصة ويزول عنه الجهل، هذا تكفيه الدعوة، أما المعاند بعد الدعوة إذا أبى أن يقبل الدعوة وأصر على الشرك فهذا يُقاتل، قال جل وعلا: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣]، هذا الغرض من الجهاد، أن

(١) رواه الترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، حديث رقم (٢٦١٦)، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، حديث رقم (٣٩٧٣).

يكون الدين كله لله، وأن يسلم من يريد الدخول في الإسلام ممن يؤذيه ويصدّه عن الدخول فيه، الآن يشوهون الإسلام ويمدحون اليهودية والنصرانية؛ لأن الجهاد عطل فلما عطل الجهاد تجرّوا على المسلمين، فلو أن الجهاد قائم لما تجرّوا على المسلمين، ولكن الجهاد إنما يجب على المسلمين إذا كان عندهم استطاعة واستعداد لقتال العدو، حينئذٍ يجب عليهم الجهاد، أما إذا لم يكن عندهم استطاعة واستعداد للجهاد فإنهم يكتفون بالدعوة إلى الله، والبيان للناس وينشرون الدعوة، وأما الجهاد فإنهم ينتظرون إلى أن يستطيعوا، لأن النبي ﷺ لما بعثه الله في مكة بقي ثلاثة عشرة سنة يدعو إلى الله ولم يؤمر هو ولا أصحابه بالجهاد، بل أمروا بكف أيديهم وأمروا بالصبر والتحمل، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وصار له أنصار وأعوان واستعداد أمره الله بالجهاد والغزو لإعلاء كلمة الله، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصِرُوهُمْ وَأَقْعِدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ﴾ [التوبة: ٥]، الله سبحانه شرع

الجهاد فقال: ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ صُدُورِ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَتُؤْتِ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ﴾ [التوبة: ١٤، ١٥]، فالجهاد قد يكون سبباً لتوبتهم، وقال ﷺ: «عجب ربك من قوم يُقَادُونَ إلى الجنة بالسلاسل» ^(١) فالجهاد رحمة بالكفار؛ لأنهم قد يتوبون إلى الله ويدخلون الجنة ولو تركوا على الكفر لدخلوا النار فيه رحمة، فالجهاد رحمة وإنقاذ للبشرية من الظلمات إلى النور، ومن النار إلى الجنة، ومن الكفر إلى الإيمان، فهو رحمة بينما يتصور بعض الجهال أن الجهاد اعتداء وأنه قسوة وأنه.. وأنه..، والجهاد رحمة وليس قسوة، ما انتشر الإسلام وانتشر العلم ودخل الناس في دين الله أفواجا إلا بسبب الجهاد في سبيل الله، فلو أن المسلمين بقوا بدون جهاد ما انتشر الإسلام ولتسلط الكفار، فالكفار لا يكفون عن الأذية ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَظْفَرُوا ﴾ [البقرة: ٢١٧]، هذا ديدنهم ﴿ وَوَدُّوا لَوْ نَكْفُرُونَ ﴾ ﴿٢﴾ [المتحنة: ٢]، وَلَنْ رَضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَى حَتَّى

(١) رواه البخاري في كتاب الجهاد، باب الأسارى في السلاسل، حديث رقم (٣٠١٠).

تَنَجَّعَ مِنْهُمْ ﴿ [البقرة: ١٢٠]، فهم لا يكفون عن المسلمين، ولا يكفون عن سب الإسلام وتشويهه وهو دين الله عز وجل ودين جميع الرسل، فالجهاد مقصد عظيم، وليس الغرض منه الاستيلاء على الممالك أو السلطة على الناس أو أخذ الأموال، وليس الغرض منه شهوة القتل وسفك الدماء، وإنما الغرض منه إعلاء كلمة الله لتكون كلمة الله هي العليا وهذا فيه رحمة للبشرية؛ لأن الله خلق الخلق لعبادته كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فمن عبد غير الله فإنه يُدعى إلى عبادة الله وترك الشرك ويُقام عليه الحجة؛ فإن أبى وأصر تعين جهاده وقتاله حتى تكون كلمة الله هي العليا، قال تعالى: ﴿ وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونََ لِلدِّينِ كَلِمَةٌ لِلَّهِ فَإِنَّ أَسْهَوْا ﴾ [الأنفال: ٣٩]، ليس الغرض من الجهاد التشفي أو أخذ الأموال أو الاستيلاء على البلاد أو الترفع على الناس، لا، القصد من الجهاد مصلحة البشرية، حتى الكفار المقاتلون الجهاد رحمة لهم، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، للعالمين عموماً،

فالجهد مقصد شريف وواجب عظيم، وفيه مصالح عظيمة فيه عز للإسلام والمسلمين وإنقاذ للبشرية من الهلاك، والمسلمون يتحملون من المشقة أكثر مما يتحملة الكفار، يتحملون النفقات، يتحملون القتل والجراحات، يتحملون البعد عن أوطانهم يقصدون بذلك إنقاذ البشرية وخير البشرية، مات أكثرهم وقتلوا في غير أوطانهم، دُفِنوا في المشرق والمغرب إعلاءً لكلمة الله عز وجل، الله جل وعلا يقول: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤]، المسلمون يتحملون مشاق وأخطاراً من أجل إعلاء كلمة الله ومن أجل مصلحة البشرية وتخليصها من الطواغيت والظلمة، والأوثان وشياطين الإنس والجن الذين استعبدوا البشر، هذا هو القصد من الجهاد في سبيل الله، وليس هو وحشية كما يقوله الجهال، أو يقوله الأعداء، ليس هو وحشية بل هو رحمة، وهو إنقاذ للناس وتبصير للناس وإخراج للناس من الظلمات إلى النور، وردهم إلى عبادة الله التي خلقوا من أجلها يسعدون بها في الدنيا والآخرة، هذا هو المقصود من الجهاد. والجهاد مشروع على الأنبياء من قبلنا،

هذا موسى عليه السلام خرج غازياً يريد تخليص بيت المقدس من
العماليق الكفار، ولكن قومه جنباء؛ لما قال لهم: ﴿يَقْوَرِ ادْخُلُوا
الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْدُوا عَلَىٰ أَذْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾
قَالُوا يَمْوَسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴿[المائدة: ٢١-٢٢]﴾ لأنهم جنباء، ولذا
قالوا: ﴿وَأَنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا﴾ هذا من
الجن، لا يستقبلونكم بالورود وبالحفاوة، القتال يحتاج إلى جلد
ويحتاج إلى صبر ويحتاج إلى تحمل ولكن هم جنباء لم يتحملوا،
والشاهد من هذا أن الله أمر موسى عليه السلام بالجهاد وتخليص
بيت المقدس من العماليق الوثنيين.

كذلك من جاء بعده من الأنبياء يجاهدون في سبيل الله، هذا
الملك الذي بعثه الله لبني إسرائيل لما طلبوا ذلك من نبيهم؛ كما
قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ آلَافٍ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ
لَهُمْ أَهْبَتْ لَنَا مَلَكَ نُفَعِّلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿[البقرة: ٢٤٦]﴾، فالله اختار
لهم طالوت، وفي جنود طالوت داود عليه السلام، إلى أن قال:
﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾ [البقرة: ٢٥١] وجالوت

ملك الكفار: ﴿وَأَتَيْنَهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾
 [البقرة: ٢٥١]، أي أتى الله داود عليه السلام ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ
 بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١] لولا أن الله شرع
 الجهاد لفسدت الأرض بالشرك والكفر والمعاصي، الجهاد فيه
 إصلاح وفيه خير للبشرية، فهذا موسى عليه السلام غزا والرسول
 من بعده من بني إسرائيل غزوا، وهذا سليمان عليه السلام ماذا
 قال للملكة سبا: ﴿أَنْجِعِ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِخَبْرٍ لَا يَكُنْ لَهُمْ بِهَا وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ مِنْهَا
 أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [النمل: ٣٧]، فالجهاد شريعة من شرائع الأنبياء
 لبس خاصا بالإسلام كما يقول اليهود والنصارى: أن هذا من
 جبروت الإسلام وتعنت الإسلام على البشرية، بل هو موجود في
 الشرائع السابقة لإعلاء كلمة الله عز وجل.

وفي قول بني إسرائيل لنبيهم: ﴿أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نَقْتُلُ فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٦] دليل على أن الجهاد لا يكون إلا تحت
 راية ولي أمر المسلمين.

والجهاد في سبيل الله على نوعين: فرض كفاية، وفرض

عين.

فرض العين في ثلاثة أحوال:

إذا دهم البلد العدو فإنه يجب على المسلمين أن يقاوموهم
تخليصاً لبلدهم ومحارمهم، هذه حالة.

الحالة الثانية: إذا حضر المعركة بين المسلمين والكفار فإنه

يجب عليه أن يقاتل ولا ينهزم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا
لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفُوا زَحَفًا فَلَا تُوَلُّوهُمْ الْأَدْبَارَ ۚ وَمَنْ يُؤَلِّمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا
مُتَحَرِّقًا أَوْ لَقِينًا أَوْ مُتَحَرِّقًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَكَءٌ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾
[الأنفال: ١٥-١٦].

الحالة الثالثة: إذا استنفره إمام المسلمين؛ لأن الجهاد من

صلاحيات الإمام، فإذا استنفره فإنه يجب عليه الطاعة والإجابة

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي

سَبِيلِ اللَّهِ أَنْقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ﴾ [التوبة: ٣٨]، قال النبي ﷺ: «لا هجرة

بعد الفتح، ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا»^(١)

هذه الأحوال الثلاث التي يجب فيها الجهاد على الأعيان،

(١) رواه البخاري في كتاب الجهاد، باب فضل الجهاد والسير، حديث رقم (٢٧٨٣).

أما ما عداها فالجهاد فرض كفاية، إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقي، فإذا قام بالجهاد فئة من المسلمين وجند من جنود المسلمين فإنه يبقى في حق البقية سنة، وهو من أفضل الأعمال بعد الفريضة.

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا أُنْزِلَ الْأَنْشُرُ الْحَرُمُ فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة: ٥]، والحكم إذا علق بوصف فمعناه أن ذلك الوصف علة لذلك الحكم، فالوصف هنا الشرك؛ فلما قال ﴿ فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ ﴾ دل على أنهم يُقاتلون لأجل الشرك بالله عز وجل؛ لأن الله خلق المخلوق ليعبد وحده ولا يُشرك معه أحد، فيكون الجهاد لتخليص العبادة لله عز وجل، ويكون الدين له وحده، لا يكون هناك دين لغيره وعبادة لغيره؛ لأنه هو الخالق الرازق المستحق للعبادة، هذا هو الغرض منه، ولهذا قال ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»^(١).

فالغرض من الجهاد أن تكون كلمة الله هي العليا.

(١) رواه البخاري في كتاب العلم، باب من سأل وهو قائم عالماً جالساً، حديث رقم (١٢٣).

لأن به تحصين ملة أحمد^(١) وفضل عموم النفع فوق المقيد^(٢)
فلك من قد باع لله نفسه وجود الفتى بالنفس أقصى التجود^(٣)

(١) هذا هو وجه كونه أفضل الطاعات؛ لأن به تحصين ملة أحمد من الكفر والشرك والضلال، ففيه حماية الدين.
(٢) لهاتين الفضيلتين: أولاً أنه فيه حماية للدين، والثانية أن نفعه يتعدى إلى غير المجاهد من المسلمين.

(٣) قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْتَ لَهُمْ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ [النوبة: ١١١]، هذه الآية تدل على فضل الجهاد، وفي الآية بيع، فالبايع هو المسلم، والمشتري هو الله، والمبيع هو النفس والمال، والتمن هو الجنة، والسمسار هو الرسول ﷺ، والوثيقة التي كُتب فيها هذا العقد التوراة والإنجيل والقرآن.

وقوله: «وجود الفتى بالنفس أقصى التجود» فيه معنى قول

ومن يغد إن يغنم فأجر ومغنم وإن يرد يظفر بالنعيم المخلد^(١)
وما محسن يبغي إذا مات رجعة سوى الشهدا كي يجهلوا في التريد^(٢)

الشاعر:

يجود بالنفس إن ضن الجبان بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود
(١) الذي يغزو في سبيل الله لا بد له من الخير، فإما أن يرجع بأجر وغنيمة، وإما أن يُقتل في سبيل الله فيظفر بالشهادة والحياة المؤبدة، فالجاهد في سبيل الله غانم على كل حال، إن بقي وإن قُتل، إن بقي رجع بالأجر والغنيمة، وإن قُتل فهو أفضل وأعلى ويكون شهيداً في سبيل الله، وكفى هذا شرفاً للجهاد في سبيل الله.

(٢) لا أحد من المؤمنين يتمنى الرجوع إلى الدنيا بعد الموت إلا الشهيد فإنه يتمنى إذا قال الله له: «ماذا تريد يا عبدي؟» قال: أريد أن أرجع إلى الدنيا فأقتل في سبيلك ثم أقتل ثم أقتل. لما يرى من عظم الأجر والثواب فهو يريد الزيادة، فهذا دليل على فضل الشهادة في سبيل الله عز وجل، والله جل وعلا يقول: ﴿وَلَا

لفضل الذي أعطوا ونالوا من الرضا يفوق الأمانى في النعيم المسمد^(١)

تَحَسَّنَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٦﴾
فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ
خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٦٧﴾ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ
وَقَضَى اللَّهُ وَفَضَلَ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٨﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧١]،
فهذا ترغيب في الشهادة في سبيل الله وأنها حياة؛ قال تعالى: ﴿ وَلَا
تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءُ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٤]،
فالشهيد حي، ولكنها حياة برزخية ليست حياة
دنيوية، فلذلك تعتد امرأته وتتزوج من بعده ويقسم ميراثه،
فحياته في الدنيا انتهت، ولكنه حي في الآخرة، حياة أكمل من
حياته في الدنيا ولا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، ولذلك الشهيد
لا يُصلى عليه ولا يُغسل ويُكفن في ثيابه التي قُتل فيها والتي فيها
دماؤه؛ لأنه حي عند ربه ولتبقى عليه آثار الشهادة.

(١) يتمنون الرجوع للفضل الذي أعطوه والجزاء الذي نالوه

كفى أنهم أحياء لدى الله وروحهم تروح بجنات النعيم وتغتدي^(١)
وغدوة غاز أو رواح مجاهد فخير من الدنيا بقول محمد^(٢)

من النعيم السرمدي الذي لا ينتهي ولا ينقطع، فليس له نهاية.
(١) كفى أنهم أحياء عند ربهم كما في الآية، وأن أرواحهم في أجواف طير خضر أجسامهم قد تبلى وقد تتمزق وتفتنى، ولكن أرواحهم تبقى، وتكون في أجواف طير خضر، تسرح في أنهار الجنة تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش.
(٢) جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال:
«لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها»^(١)
والغدوة: الذهاب في الصباح للجهاد، والروحة: الذهاب في المساء؛ له خير من الدنيا وما فيها، الغدوة فقط أو الروحة فقط خير من الدنيا وما فيها من كل الملاذ والشهوات والأموال والأولاد.

(١) رواه ابن ماجه في كتاب الجهاد، باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله... حديث رقم (٢٧٥٧)، وأصله في البخاري في كتاب الجهاد، باب الغدوة والروحة في سبيل الله... حديث رقم (٢٧٩٣).

يُكفر عن مستشهد البر ما عدا حقوق الورى والكل في البحر فاجهد^(١)
وقد سُئل المختار عن حرقتهم فقال يراه مثل قرصة مفرد^(٢)

(١) ومن فضائل الاستشهاد في سبيل الله أن الشهيد يُكفر عنه جميع الذنوب عند أول قطرة من دمه، إلا حقوق الآدميين، فإنها لا تُغفر إلا بمساحتهم عنها^(١)، هذا مما يدل على أن الإنسان المسلم لا يتساهل في حقوق الناس التي عليه من الديون أو التي عنده من الودائع والأمانات، بل عليه أن يحفظها ويؤديها، وأن يقضي الديون التي عليه، إذا كان الشهيد لا يُغفر له الدين فكيف بغيره، والناس يتساهلون في حقوق الناس، يأخذون أموال الناس ويتساهلون في تسديدها، فمنهم من يُماطل في تسديدها، ومنهم من يجحدها وينكرها، هذا لو قُتل في سبيل الله فإنه لا يسقط عنه حق المخلوق، لا بد من رد المظالم إلى أصحابها.

(٢) ما يجده الشهيد من ألم القتل مثل لسعة القارص، يعني

(١) رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياهُ إلا الدين، حديث رقم (١٨٨٦).

كلوم غزاة الله ألوان نرفها دم وكمسك عرفها فاح في غد^(١)
ولم يجتمع في منخر المرء يا فتى غبار جهاد مع دخان لظى الصلبي^(٢)

لا مشقة فيه، بل إنه مثل اللسعة أو القرصة الخفيفة^(١)، ثم يُنعم بعد ذلك.
(١) كذلك من فضائل الشهادة في سبيل الله أن الشهيد يأتي يوم القيامة يشعب جرحه دماً كحاله يوم جرح في الدنيا، يشعب دماً لونه لون الدم وريحه ريح المسك^(٢)؛ لأنه أثر ناشئ عن عبادة الله سبحانه وتعالى، وكل أثر ينشأ عن عبادة الله فإنه يكون محبوباً إلى الله، مثل خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك؛ لأنه أثر ناشئ عن الصيام، ومثل الغبار في سبيل الله، ولا يجتمع الغبار في سبيل الله في أنف المجاهد ودخان نار جهنم يوم القيامة.
(٢) من فضائل الجهاد في سبيل الله أن المجاهد إذا أغبر في

(١) رواه الترمذي في كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الم رابط، حديث رقم (١٦٦٨).

(٢) رواه البخاري في كتاب الجهاد، باب من يخرج في سبيل الله عز وجل، حديث رقم (٢٨٠٣).

كمن صام لم يفطر وقام فلم ينم جهاد الفتى في الفضل عند التعدد^(١)
فستان ما بين الضجيع بفرشه وساهر طرف ليله فوق أجرد^(٢)

الجهاد ودخل الغبار في أنفه، فالأنف الذي دخله غبار في سبيل الله لا يدخله دخان نار جهنم^(١).

(١) كذلك من فضائل الجهاد أن المجاهد إذا خرج غازياً في سبيل الله فإنه يكون مثل الصائم الذي لا يفطر والقائم الذي لا يفتر من حين خروجه إلى أن يرجع، وله أجر القائم الذي لا ينام، والصائم الذي لا يفطر، كل هذا ورد في الأدلة من الأحاديث الصحيحة^(٢).

(٢) شتان بين النائم على فراشه وفي بيته وعند أهله، وبين الذي يسهر في سبيل الله على فرسه الأجرد يحرس جيش المسلمين ويُراقب العدو، وجاء في الحديث: عيان لا تمسهما النار يوم القيامة.

(١) رواه الترمذي في كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله، حديث رقم (١٦٣٣).

(٢) رواه البخاري في كتاب الجهاد، باب فضل الجهاد والسير، حديث رقم (٣٧٨٥).

يُدافع عن أهل الهدى وحريمهم وأموالهم بالنفس والمال واليد^(١)
ومن قاتل الأعلاء لإعلاء ديتنا فذا في سبيل الله لا غير قيد^(٢)

عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله^(١).

(١) هذا إذا كان غرضه الدفاع عن دين الله عز وجل وإعلاء كلمة الله، والدفاع عن حرمة المسلمين والنكاية بالعدو، أما إذا كان قصده شيء آخر فالله أعلم بالمقاصد والنيات.

قال ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»^(٢).

(٢) هذه الفضائل التي ذكرها لمن تحصل؟ هل تحصل لكل من قاتل؟ لا، إنما تحصل لواحد فقط؛ وهو الذي قاتل لإعلاء كلمة الله، أما الذي يُقاتل رياءً، أو يُقاتل للمغنم، أو يُقاتل لغرض آخر فهذا ليس في سبيل الله وإنما هو في سبيل ما يريد من خصال الدنيا ومتاعها.

(١) رواه الترمذي في كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله، حديث رقم (١٦٣٩).

(٢) رواه البخاري في أول صحيحه.

ويفضل غزو البحر غزو مفاوز ومع فاجر محتاط فاغز كآرشد^(١)

(١) غزو البحر أفضل من غزو البر لما في غزو البحر من الخطر بسبب ركوب البحر غازياً في سبيل الله، يكون أجره أكثر من أجر الذي يغزو في البر؛ لأن البر أقل خطراً، إذاً فالجهاد يتفاضل، وليس على حد سواء.

والجهاد لا بد أن يكون مع إمام المسلمين؛ لأنه من صلاحيات الإمام سواء كان برأً تقياً أو كان فاجراً يعني فاسقاً لا يصل إلى حد الكفر، فالجهاد ماض مع إمام المسلمين برأً كان أو فاجراً، فلا يُقال: ما نغزو إلا مع إمام تقى، بل يُغزى مع ولاية الأمور ولو كانوا غير أتقياء، ما داموا أنهم مسلمون ولو كان عندهم قصور في دينهم، ولو كان الإمام فاسقاً وفاجراً ما لم يصل إلى حد الكفر، فولايته باقية وطاعته واجبة، ما لم يأمر بمعصية الله عز وجل، والجهاد معه واجب؛ فهذا أمر مهم جداً، وهو أن يُعرف أن الجهاد لا بد أن يكون تحت راية مسلمة، وتحت إمرة أمير،

ومن يبيع نفس المرء أو ماله أو الدِّينَ حَرِيمٌ بِهِمْ أَوْ فَي طالب الرد^(١)

إما الإمام بنفسه وإما من يوكله الإمام ويؤمره على الجيش، كما كان النبي ﷺ يفعل، إما أن يغزو بنفسه وإما أن يؤمر أميراً على الجيش أو السرية، وليس الجهاد فوضى كل من يريد يأخذ سلاحه ويضرب ويقتل بدون أن يكون مع المجاهدين في سبيل الله ومع جند المسلمين، فينبغي أن يُعرف هذا؛ لأنه في هذا الوقت ظهرت جماعات مخربة مفسدة تسفك الدماء وتخرب الديار وتغدر في العهود وتقول: نحن مجاهدون في سبيل الله، هذا الإجماع في سبيل الشيطان وليس في سبيل الله عز وجل، فالجهاد لا بد أن يكون تحت راية إسلامية، وتحت قيادة ولي الأمر أو نائبه، ولا يجوز للمسلمين أن يغزو بدون إذن ولي الأمر إلا في حالة واحدة، إذا دهمهم عدو يخشون كلبه، ولا يستطيعون مراجعة ولي الأمر لبعده والعدو داهمهم فهنا يُقاتلون؛ لأن هذا ضرورة.

(١) لما انتهى الكلام في الجهاد انتقل إلى الكلام في حكم دفع الصائل.

فأوجب دفاعاً عن حريم المطلق لا عن المال والقولين في النفس أورد^(١)

الصائل الذي يصل على الإنسان يريد نفسه، أو يريد أخذ ماله، أو يريد الفجور بأهله فإنه تجب مدافعته عن الحرمه، وأما النفس والمال فهذا سيأتي التفصيل فيه.

(١) الدفاع عن الحرمه وعن العرض واجب ولا يجوز الاستسلام فمن قتل الصائل فهو هدر، وإن قُتل الموصول عليه فهو شهيد، وأما عن النفس فعلى قولين لأهل العلم؛ هل يجب عليه أن يدافع أو لا يجب عليه، أو يجب الكف في حالة المهرج والفتنة دون حالة الأمان؛ أقوال لأهل العلم؛ لأن الدفاع عن النفس مأذون فيه شرعاً، فإذا دافع فإنه قد شرع له ذلك، ولكن هل يجب عليه، أو يجوز له أن يستسلم؟ قالوا: إنه يجوز أنه لا يدافع؛ لأن عثمان رضي الله عنه لما هجموا عليه في بيته أمر الحرس الذين عنده أن يغمدوا سيوفهم؛ لأنه لا يجب أن يفتح على المسلمين باب فتنة، ولا يجب أن يقتل مسلم بسببه رضي الله عنه، فصبر على

ورجح الاستسلام في الهرج شيخنا وحتم دفاع اللص والعجم قلد^(١)

الحنّة والبلاء حتى قُتل، هذا دليل على أنه لا يجب على المرء أن يدافع عن نفسه؛ ولو دافع فإنه مأذون له فيه مشروع إلا في حالة الهرج، وهو حالة الفتنة بين المسلمين وكون الإنسان لا يُدافع عن نفسه فيها أحسن؛ لأن ابن عمر رضي الله عنه في واقعة الحرة جمع أهله ومنعهم من القتال وكسر سيفه رضي الله عنه، كفاً للفتنة.

ومما يدل على أنه لا يجب عليه قصة عثمان رضي الله عنه، وقصة ابن آدم ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسٍ بِإِيدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ﴾ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ [المائدة: ٢٨].

(١) المراد بقوله: شيخنا؛ يعني: الشيخ ابن أبي عمر؛ صاحب الشرح الكبير؛ لأنه شيخ لناظم، وهو أكبر مشائخه. «في الهرج» معناه القتل في الفتنة بين المسلمين.

وقوله: «وحتم دفاع اللص والعجم قلد»، لما انتهى من بيان حكم الصائل الذي يهجم بالقوة، ذكر حكم اللص الذي يأتي خفية يريد السرقة؛ يجب عليك أنك تدافع اللص عن مالك؛ لأن هذا لا يلزم عليه فتنة إذا دافعه، مثل ما يلزم في دفاع الفتنة بانتشار القتل، بل هذا فيه مصلحة للمسلمين، فيجب عليك أن

ويدفع بالأدنى متى ظن دفعه بذاكم وإلا فليزد وليشدد^(١)
فتبدأ بوعظ ثم تضرب بالعصا فإن لم يفد فليفره بالمحدد^(٢)
وقاتله بالنشاب إن خفت كيده إذا ما دنا فادفع بما شئت واطرد^(٣)

تدافع اللص.

وقوله: «والعجم قلد» لعله يريد أن البهائم تدافع عن نفسها
فالإنسان أولى.

(١) «ويدفع بالأدنى» يدفع اللص بالأدنى، إن اندفع
بالكلام والزجر والتذكير والوعظ فإنه يكفي، وإن لم يكف إلا
بالضرب فإنه يضربه، وإن لم يندفع إلا بالقتل فإنه يقتله.

(٢) يبدأ بالوعظ ثم بالضرب بالعصا، ثم إذا لم يفد الضرب
بالعصا ينتقل إلى الضرب بالحديد.

(٣) إذا لم يهلك حتى تتخذ معه هذه الخطوات، فإنك ترميه
بالنشاب والسهم وتطلق عليه الرصاص، إما أن تصوبه إليه أو
تطلق الرصاص في الهواء من أجل أن يهرب.

وإن نلته بعد اكتفائك شره تُضمَّن ما ينشأ عن المتزيد^(١)
ولا شيء في العادي القتل بمائل ومن قتل العادي شهيداً ليعدد^(٢)

(١) يقول: لو أنك أمسكته أو استسلم هو ثم بعد ذلك أنت جنيت عليه بأن ضربته أو جرحته فإنك تضمن؛ لأنك معتد؛ لأنه استسلم أو أنت قدرت عليه وأمسكته فلا تعدد عليه بعد ذلك بالضرب أو بالجرح؛ لأنه لا حاجة إلى ذلك.

(٢) الصائل إذا قُتل فإنه هدر، ولا يُضمن، والمصول عليه إذا قُتل فإنه شهيد؛ لأن رجلاً سأل النبي ﷺ قال: إذا جاء الرجل يريد مالي، قال: «لا تعطه مالك» قال: أرأيت إن قتلته. قال: «فهو هدر» قال: أرأيت إن قتلني. قال: «فأنت شهيد»^(١) فالذي يُقتل في مدافعة عن نفسه أو عن ماله أو عن حرمة شهيد، ليس هو شهيد معركة، بل هو شهيد في الآخرة، أما في الدنيا فإنه يُغسل ويُكفن ويُصلى عليه مثل الجنائز، فالشهيد على قسمين:

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق... حديث رقم (١٤٠).

ولا فرق بين اللص يدخل داره ومن صال عدواناً عليه بفدق^(١)
ولا بين أدنى ماله وكثيره ومن دفع المضطر عنه فمعتدي^(٢)

القسم الأول: شهيد في الدنيا والآخرة، وهو شهيد المعركة في سبيل الله.

الثاني: شهيد في الآخرة، وهذا مثل الذي يُقتل في الصيالة، أو يموت بالطاعون أو بالهدم أو بالغرق أو بالحريق، والأحداث المفاجئة، هذا شهيد، ولكنه شهيد في الآخرة، وأما في الدنيا فيعامل معاملة الجنائز.

(١) لا فرق بين اللص الذي يدخل عليك في دارك، ولا بين الذي يصول عليك في البر، المعنى واحد هو صائل سواء في البيت أو في البر فتدافعه بما سبق.

(٢) لا فرق في الدفاع عن المال سواء كان المال كثيراً أو قليلاً، فانت تدافع عن مالك ولو كان قليلاً، ومن باب أولى إذا كان المال كثيراً وفيه مطمع، والحديث لم يُفصل بين القليل والكثير وقوله «ومن دفع المضطر عنه فمعتدي» إذا اضطر شخص إلى طعامك،

ولو جب في الأقوى للدفع عن ماله الذي له اضطر مثل الأكل منه بأجود^(١)
ويلزم من يقوى على دفع صائل على غيره دفع لأمن من الردي^(٢)

الذي أنت لا تحتاج إليه فيجب بذله، فإن امتنعت فللمضطر أن يدافعك؛ لأن هذا من حقه، لأن الله أباحه له فقال تعالى: ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩]، فلو أن المضطر تدافع مع صاحب المال ولم يمكنه من أن يأخذ قدر ضرورته فصاحب المال ظالم، والمضطر مظلوم، له أن يُدافع صاحب المال كما سبق؛ لأنه يدافع عن حياته.

- (١) كما يُباح للمضطر أن يأكل من مال غيره دفعاً للضرر؛ لأن الله أباح له الميتة فكذلك مالك إذا اضطررت إليه يجب عليك أن تدافع عنه لتدفع به ضرورتك؛ هذا الذي يظهر لي من كلامه.
- (٢) كما يُدافع الإنسان عن نفسه وعن ماله وعن حرمة، يجب عليه أن يُدافع عن دم أخيه المسلم، وعن حرمة أخيه المسلم، وعن مال أخيه المسلم، لقوله ﷺ: «المسلم للمسلم كالبنیان يشد

ولا شيء فيما جوز الصول قتله مكلف أو عجم وبيله وفوهده^(١)

بعضه بعضاً^(١)، ولقوله ﷺ: «مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد»^(٢)، وقوله ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يخذله، ولا يسلمه»^(٣) والله جل وعلا يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

فكما تُدافع في الأحوال السابقة عن نفسك وعن مالك وعن حرمتك كذلك تُدافع عن نفس أخيك ولا تسلمه، المسلم أخو المسلم لا يسلمه، يعني لا يتركه للظالم، لا تترك أخاك يُظلم وأنت تقدر على نصرته.

(١) الصائل لا ضمان فيه إذا أتلَف، سواء كان بهيمة أو

(١) رواه البخاري بلفظ: المؤمن في كتاب المظالم والغصب، باب نصر المظلوم، حديث رقم (٢٤٤٦).

(٢) رواه مسلم بلفظ المؤمنين في كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين.. حديث رقم (٢٥٨٦).

(٣) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد، حديث رقم (٢٤٤٢).

ولا غرم في المقتول دفعاً لشـره إذا لم يُفرط قاتل في التـزيد^(١)
ومن ربط العجماء في ضيق من الدر وب ليضمن ما جنت لا تُقيد^(٢)

كان إنساناً أو كان غير عاقل، صال عليك يريد قتلـك ولو كان غير عاقل فلك أن تدافع عن نفسك سواءً كان المدفوع مكلفاً أو غير مكلف كالبله، أو كان بهيمة عجماء أو كان من حيوانات أخرى كالسباع والكلاب، يجب عليك دفع الصائل.

(١) كذلك كما سبق أن المقتول في الصيالة أنه غير مضمون؛ لأنه قُتل دفعاً لشـره وهو المعتدي، فلا ضمان فيه، وإن كان الأصل عصمة الدم في المسلم والمعاهد، ولكن العصمة تُهدر إذا كان هذا في حالة الصيالة.

(٢) لو ربط البهيمة في الطريق وعثر بها إنسان أو رfst إنساناً برجلها أو سدت الطريق أو صدمتها سيارة وانقلبت السيارة، فصاحبها ضامن لما ترتب عليها؛ لأنه ربطها في طريق ضيق، أما إن كان ربطها في طريق واسع، وبإمكان المارة أن يمروا

وقولان بالإطلاق إن كان واسعاً كذا في اقتنا كلب عقور بأجود^(١)

فإنه غير معتد.

ومثل هذا الآن الذي يأتي بالإبل ويتركها في طريق السيارات في البراري، ويحصل على أصحاب السيارات منها حوادث، هذا إذا كان حاضراً معها فإنه يضمن، أما إذا ذهبت وليس هو عندها ولا يدري عنها، فيكون المسئول هو صاحب السيارة الذي لم يأخذ حذره وينظر في الطريق، وإنما يضمن صاحب الدواب إذا كانت يده عليها، يعني: هو حاضر عندها يرعاها أو هو بائت عندها وتركها، هذا يضمن، أما إذا لم يكن عندها ولا يدري عنها فليس عليه ضمان، ولكن الدابة لا يضمنها صاحب السيارة.

(١) قولان في إطلاق الدابة إذا كان الطريق واسعاً، والناس يمرون، القول الأول: لا ضمان عليه؛ لأنه لم يعتد، ولم يضيق الطريق بذلك.

القول الثاني: عليه الضمان؛ لأنه ليس له أن يربطها في الطريق.

كذا الحكم في هر يصيد الطيور لا إذا بال في شيء وولغ الذي ابتدي^(١)

وقوله: «كذا في اقتنا كلب عقور بأجود» وكذلك مما يُهدر الكلب العقور إذا قتله أحد فإنه لا ضمان فيه، لقوله ﷺ: «خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم»^(١) وذكر منها الكلب العقور.

(١) الأصل تحريم قتل الكلاب والحيوانات والدواب إلا المؤذي منها، فإنه يُقتل، فالكلب العقور والهر الذي يؤذي أصحاب البيوت كأن يكفى القدر ويخرب ما ظفر به في البيوت، ويأكل اللحم هذا يُقتل دفعاً لشره وآذاه، أما إذا كان منه أذى فلا يجوز قتله، لأنه له حرمة، ولا يقتل الكلب والهر إذا بال أحدهما في مكان أو ولغ من ماء إنسان لأن هذا من طبيعة الحيوان.

(١) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب خمس من الدواب قواسق يقتلن في الحرم حديث رقم (٣٣١٤).

وإن يوقد الإنسان ناراً بملكه ويُجري عليه ماء غير معتد^(١)
 فليس عليه غرم تاو لجاره به مع سوى تفريطه والتريد
 ويُمنع من إنشاء مُضر بجاره ويضمن ما أودى بحظر مجدد
 ولا غرم في مُلقى ممر بموحل وأشباهه من نافع غير مفسد^(٢)

(١) للإنسان أنه يعمل في ملكه ما يحتاج إليه، فيوقد النار في ملكه، ويجري الماء في ملكه، ويغرس الشجر في ملكه، ولا يمنعه جاره من ذلك، إلا إذا حصل على جاره ضرر بأن تعدى ضرره إلى جاره، كأن تكون النار بها خطر ويمكن يحصل حريق من جراءها، أو لها دخان يخنق الجيران؛ أو الأشجار امتدت أغصانها إلى جاره وآذته، أو جعل في ملكه شيئاً له صوت يُزعج الناس مثل المصانع أو الأشياء التي لها أصوات مزعجة، أو روائح كريهة تؤذي الجيران فلهم أن يمنعوه من ذلك.

وقوله: «ويضمن ما أودى بحظر مجدد» وإذا ترتب على إنشاء في ملكه شيئاً يتلف شيئاً عند الجيران فإنه يضمن لأنه معتد.

(٢) لعله يقصد إذا تسرب من بيته ماء وحصل منه وحل أو مستنقع يسير وحصل بسبب ذلك تلف شيء من المارة فإنه لا

ويضمن منشي ما يضر بمسلك ومن قشر بطيخ وماء مبدد^(١)

يضمنه؛ لأن هذا مما جرت به العادة ولا يمكن التحرز منه.

(١) إذا أرسل الماء في الشارع وزلق إنسان أو صار فيه طين وزلق إنسان فتضرر، فإنه يضمن صاحب الماء؛ لأن هذا ناشئ عن فعله وعدوانه، كذلك لو ألقى قشر بطيخ أو موز في الطريق خصوصاً الآن والطرق مزفتة أو مبلطة وأتى إنسان وزلق بهذا القشر وانكسر أو أصيب فإنه يضمن، لأنه ليس له أن يلقي في طرقات الناس ما يؤذيهم، قال ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»^(١)، فكون الإنسان يزيل الأذى عن الطريق هذا من خصال الإيمان، أما أنه هو يُلقي الأذى في الطريق فهذا من خصال الكفر، فعلى المسلم أنه يتجنب ما يؤذي المسلمين في شوارعهم وطرقاتهم، وهذا شيء تساهل فيه كثير من الناس

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان.. حديث رقم (٣٥).

ومن يُدخل الإنسان حتى يضيفه فيسقط بيثر عنده لم يحدد
ولم ير إما للعمى أو لسترها فضمنه ما لم يُنذر المرء تُرشد^(١)

اليوم، يلقون الحجارة والأسمنت ويحفرون الحفر ويرسلون المياه، وربما تكون مياهها نجسة قذرة، ولا يبالون بجرمات المسلمين ولا بأذية المسلمين، وهذا يُخالف كمال الإيمان.

(١) على الإنسان إذا جعل بئراً في أرضه أو في بيته أن يضع عليها حاجزاً أو شيئاً يمنع السقوط فيها، ولا يجعلها مكشوفة ليس عليها حواجز، فلو أن إنساناً دخل أرضه بإذنه وهو أعمى أو مبصر وصاحبها لم يسترها وسقط في البئر غير المحدد، فإنه يضمنه؛ لأنه دخل بإذنه وسقط في البئر؛ لأنه لم يجعل عليها حواجز فهو متسبب فيضمن.

ومثله البرك العميقة التي يجعلونها في الاستراحات أو في البيوت، ولم يضعوا عليها أشياء تحفظ من السقوط فيها فيضمنون فيها إذا أذنوا لداخلها، أما إذا دخل أحد بدون أذنهم وسقط فإنهم لا يضمنون؛ لأن الداخل معتد بدخوله.

ومن يغتصب أرضاً فحظر دخولها على غير رب الأرض إن حوطت قد^(١)
وإن لم تحوط جاز فيها دخوله وأخذ الكلا منها على نص أحمد^(٢)

(١) المغصوبة: لا يجوز للإنسان أنه يستعملها؛ لأن غصبها ظلم وعدوان، فلا يدخلها ويسكن فيها ويصلي فيها؛ لأنها مغصوبة ويحرم الانتفاع بها إلا للمالكها.

(٢) إذا كان ليس عليها جدار وهي مغصوبة أو غير مغصوبة وفيها كلاً فهو لمن أخذه، لأن الناس شركاء في ثلاث الكلاً والنار والماء، والكلاً هو العشب.

الربا والقرض والوقف والعتق^(١)

(١) هذه أربعة أبواب، أما الربا: فهو في اللغة: الزيادة والارتفاع، قال تعالى: ﴿ أَفْتَرْتُمْ وَرَبَّتْ ﴾ يعني الأرض إذا جاءها المطر ارتفعت، ومنه الربوة وهي المكان المرتفع، ويربو معناه يزيد ويرتفع. وأما في الشرع فالربا: هو: الزيادة في أموال مخصوصة. وهو على نوعين: ربا نسيئة، وربا فضل، وكلاهما محرم شديد التحريم، وربا النسيئة أشد، وربا الفضل وسيلة لربا النسيئة، فالأصل ربا النسيئة وربا الفضل وسيلة إليه. وقد حرم الله الربا بنوعيه، أما ربا النسيئة فجاء تحريمه في الكتاب والسنة، وهو أن يبيع النقود بنقود أكثر منها، أو يبيع الطعام بطعام أكثر منه حالاً أو مؤجلاً، فإن كان حالاً فهو ربا فضل، وإن كان مؤجلاً فهو ربا نسيئة وربا فضل، يجتمع فيه الأمران، وإن باع ربوياً بجنسه متساوياً لكنه مؤجل فهو ربا نسيئة. كذلك بقية الأصناف التي جاء تحريم الربا فيها في السنة.

والربا من استحلّه كفر؛ لأنه مكذب لله ولرسوله وإجماع

المسلمين. ومن أكله ولم يستحله فهو مرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب، ويعتبر فاسقاً، وقد توعد الله عليه بأنواع من الوعيد كما في آخر سورة البقرة: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَعِينِ﴾ [البقرة: ٢٧٥] إلى قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]، في سورة آل عمران قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ [آل عمران: ١٣٠] وفي سورة الروم قال تعالى: ﴿وَمَا ءَانَيْتُمْ مِن رَّبِّا لِّرَبُّوْا فِيْ ءَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِيْوْا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٩].

وفي السنة أحاديث كثيرة في الصحاح وغيرها، قال عليه السلام: «لعن الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه»^(١) وآكل الربا: هو الذي يأخذه ولو لم يأكله؛ وإنما عبر بالأكّل لأنه أعم وجوه الانتفاع، والموكل: هو الذي يدفع الربا، والشاهد والكاتب لأن فعلهما تعاون معهم على الإثم والعدوان، كلهم ملعونون في هذا

(١) رواه مسلم في كتاب المساقاة، باب آكل الربا وموكله، حديث رقم (١٥٩٧).

الحديث الصحيح مما يدل على شناعة الربا. وفي الحديث: «الربا بضع وسبعون حوباً أسرها مثل أن يأتي الرجل أمه»^(١) وهو قبيح وشديد التحريم، قد حرمه الله على اليهود ولكنهم استباحوه في حق غير اليهود وقالوا ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتَيْنِ سَبِيلٌ﴾ فهم يأخذون الربا من غير اليهود، وأما اليهود فلا يرابون معهم، قال تعالى: ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾ [النساء: ١٦١] فمن جملة ما لعنهم الله عليه أكلهم الربا وقد نهوا عنه.

والربا اليوم فشا في الناس وصار اقتصاداً عالمياً، بُنيت عليه اقتصاديات العالم الكافر، وقلدهم كثير من المسلمين، فالتعامل بالربا اليوم كثير وفاشٍ في الناس كما أخبر ﷺ أنه في آخر الزمان يفشو الربا حتى أن من لم يأكله ناله من غباره^(٢). لأن البنوك إنما تقوم في الغالب على الربا، والناس مرتبطون بالبنوك فيضطرون إلى أن ينالهم شيء من الربا ولو بالتعاون لارتباطهم بها وهي

(١) رواه ابن ماجه في كتاب التجارات، باب التغليظ في الربا، حديث رقم (٢٢٧٤).

(٢) رواه النسائي في كتاب البيوع، باب اجتناب الشبهات في الكسب، حديث رقم

(٤٤٥٥)، وأبو داود في كتاب البيوع، باب في اجتناب الشبهات، حديث رقم (٣٣٣١).